

تاج العروس من جواهر القاموس

قالَ لَبِيدٌ هذا في جاهليّته فَوَافَقَ قَوْلُهُ التَّنْزِيلَ العَزِيزَ : " يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " . قالَ : وقد يَقَعُ أَضْلَاهُمْ في غيرِ هذا المَوْضِعِ عَلَى الحَمْلِ عَلَى الضَّلَالِ والدُّخُولِ فِيهِ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " رَبِّ إِنِّي نَزَّهْتُ أَضْلَانِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ " أَي ضَلُّوا بِسَبَبِهَا لَأَنَّ الْأَصْنَافَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا تَعْقِلُ . وقالَ الرَّابِعُ : الإِضْلَالُ ضَرْبانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَنَّ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وذلكَ عَلَى وَجْهِينِ إِمَّا بِأَنْ يَضِلَّ عَنْكَ الشَّيْءُ كقَوْلِكَ : أَضْلَلْتُ البَعِيرَ أَي ضَلَّ عَنِّْي وَإِمَّا أَنْ يُحْكَمَ بِضَلَالِهِ . والضَّلَالُ في هذينِ سَبَبٌ لِلإِضْلَالِ والضَّرْبُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الإِضْلَالُ سَبَبًا لِلضَّلَالِ وهو أَنْ يُزَيَّنَ لِلإِنْسَانِ الباطِلُ لِيَضِلَّ كقَوْلِهِ تَعَالَى : " لَهُمْ مَتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ " أَي : يَتَحَرَّرُونَ أَفْعَالًا يَقْصِدُونَ بِهَا أَنْ تَضِلَّ فَلَا يَحْصِلُ مِنْ فِعْلِهِمْ ذَلِكَ إِلَّا مَا فِيهِ ضَلَالُ أَنْفُسِهِمْ وقالَ عن الشَّيْطَانِ : " ولَأَضِلَّنَّ هُمْ وَلَأُمْنِنَّ هُمْ " وقالَ في الشَّيْطَانِ : " وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا " وإِضْلَالُ اللَّهِ تَعَالَى لِلإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِينِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالِ وهو أَنْ يَضِلَّ الإِنْسَانُ فَيَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذلكَ في الدُّنْيَا وَيَعْدِلَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الجَنَّةِ إِلَى النَّارِ في الآخِرَةِ وذلكَ إِضْلَالٌ هُوَ عَدْلٌ وَحَقٌّ والحُكْمُ عَلَى الضَّالِّ بِضَلَالِهِ والعُدُولُ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الجَنَّةِ إِلَى النَّارِ عَدْلٌ والثَّانِي مِنْ إِضْلَالِ اللَّهِ : هُوَ أَنْ يَضِلَّ تَعَالَى وَضَعَجَ جَبِلَّةً الإِنْسَانِ عَلَى هَيْئَةٍ إِذَا رَأَى طَرِيقًا مَحْمُودًا كَانَ أَوْ مَذْمُومًا أَلِفَهُ واسْتَطَابَهُ وَلَزِمَهُ وتَعَسَّسَ صَرَفُهُ وانْصَرَفَهُ عَنْهُ وَيَصِيرُ ذَلِكَ كَالطَّبْعِ الَّذِي يَأْتِي عَلَى النَّاسِ وَلِذلكَ قِيلَ : العَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ وهذه الِئْفُ، سَةِ فِي الإِنْسَانِ فِعْلٌ إِلَهِيٌّ وَإِذَا كَانَ كَذلكَ صَحَّ أَنْ يُنْسَبَ ضَلَالُ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فيُقَالُ : أَضْلَاهُ اللَّهُ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ سَبَبًا فِي وَقُوعِ فِعْلٍ صَحَّ نِسْبَةُ ذَلِكَ الْفِعْلِ إِلَيْهِ لَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ الْجَهْلَةُ وَلِمَّا قُلْنَا : جَعَلَ الإِضْلَالُ الْمَنْسُوبَ إِلَى نَفْسِهِ لِلْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ دُونَ الْمُؤْمِنِ بَلْ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ إِضْلَالُ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ

إِذْ هَدَاهُمْ " وقال في الكافِر والكافِر : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ " " وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ " " كَذَلِكَ
يُضِلُّ الْكَافِرِينَ " وَيُضِلُّ الْظَّالِمِينَ " وعلى هذا الذَّحْوِ تَقْلِيْبُ
الْأَفْعِدَةِ وَالْخَتْمُ عَلَى الْقَلْبِ وَالزِّيَادَةُ فِي الْمَرَضِ انْتَهَى . وَيُقَالُ : هُوَ
ضَالٌّ تَالٌّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلَا الضَّالِّينَ " قِيلَ : عَنَى بِهِمُ الضَّالِّينَ .
وَقَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ : .

رَأَاهَا الْغُفُودُ فَاسْتَضَلَّ ضَلَالُهُ ... نِيَّافًا مِنْ الْبَيْضِ الْكَرَامِ
الْعَطَائِلِ قَالَ السُّكَّرِيُّ : طَلِبَ مِنْهُ أَنْ يَضِلَّ فَضَلَّ كَمَا يُقَالُ :
جُنَّ جُنُونُهُ وَمِثْلُهُ فِي الصَّحاحِ . وَيُقَالُ : ضَلَّ ضَلَالُهُ قَالَ أَوْسُ بْنُ
حَجَرٍ : .

إِذَا نَاقَهُ شُدَّةٌ بِرَحْلٍ وَنُفْرُقٍ ... إِلَى حَكَمٍ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالُهَُا